الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة

وزارة التعليـــــم العالي والبحث العلمـــــي

المركزالجامعي أكلي محنـــد أولحـــاج–البويرة–

معهـــــد اللغات والأدب العربي

قســـم اللّغة العربية

المكان عند أدباء المهجر

جبران خليل جبران –أنموذجا–

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس

في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبتان:

– ريمة رحيل

– منال فكار

إشراف الأستاذ:

بشير بحري

السنة الجامعية: 2012/2011

بسم الله الرحمان الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي

-إلى من قال فيهما الرحمان عز و جل " و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " إلى روح روح والدي العزيزين : حسان و زهيرة.

-إلى من غمرني بحبه و دعواته و كان لي رفيق الدرب "زوجي عبد الوهاب".

-إلى براعمي المزهرة التي أدخلت البهجة و السرور إلى بيتي أولادي "محمد حسام " و "صهيب عبد الله".

-إلى حماتي و حماي حفظهما الله و أرجوا لهما طول العمر "خالة فاطمة" و "عمي سعيد".

-إلى أخواتي الأعزاء : فضيلة و زوجها و أبناؤها ، جميلة و زوجها و أبناؤها ، زهرة و زوجها و أبناؤها إن شاء الله.

إلى إخوتي الكرام ، عبد الله ، عزيوز محمد ، الطاهر ، علي ، بشير .

واخص بالذكر الى من علماني حسن الأخلاق فوعدتهما الوفاء إلى من لبيل مطالبي وكانا دوما بجانبي, عبد الله, علي.

إلى الأضواء التي تحمل أسماؤهم رفوف بيتنا (عبد الحق, خالد, عبد الغني, إكرام, دنيا, رانيا, ماريا, إيناس, أحمد, هدى, مروان, إسحاق , أماني, تامر, فرح, سلسبيل)

إلى عائلة زوجي إخوته وأخواته وأبنائهم.

إلى توأم روحي ومن سمت نفسها "خيالي" رفيقة الدرب " منال"

إلى صديقتي العزيزة والغالية التي لن أنساها "حنان"

ريمة

إهداء

جهدي أهدي ثمرة

– إلى من شجعاني وقاسماني الأحزان والأماني وتعبا وكافحا في سبيل تربيتي وحققا لي كل الأماني وأتعبتهما بدلالي أمي وأبي

إلى من غمراني بحبهما ودعائهما جدتي يمينة وجدي محمد

إلى روح العزيزين الغاليين جدتي زهيرة وجدي حسن رحمهما الله

إلى من ساندني في إتمام مشواري وكان نعم المعين عند حاجتي

أخي عبد الحق

إلى أخي المشاكس فارس مصدر المرح

إلى الحبيبة الغالية عمتي نادية وزوجها وأبنائه

إلى صاحب القلب الأبيض عمي فضيل و زوجته و أبنائه

إلى خالتي جميلة وزهرة وزوجيهما وأبنائهما

إلى رفيقة دربي ومشواري وعملي هذا الغالية خالتي ريمة وزوجها وولديها بالأخص حسام

إلى أخوالي الأعزاء: عبد الله, عزيوز, محمد, الطاهر, علي, بشير وزوجاتهم وأبنائهم

إلى صديقاتي: شهرزاد, حفصة, إيمان, سامية, حنان, سعاد, خولة, إكرام

منال

شكر

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلآعلى الظالمين ونصلى ونسلم صلاة وتسليما يليقان بمقام أمير الأنبياء وإمام المرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم).

الحمد لله الذي كفانا وبارك لنا في إنجاز عملنا المتواضع هذا ولله الشكر الذي لا سواه يعبد ،وكل الكائنات له توحد و نحن نقر بعظمته ونشهد.

نتقدم بالشكر والإمتنان إلى أستاذنا الفاضل **بحري** على إشرافه علينا وتقديم النصائح والتوجيهات و الذي لم يبخل علينا كلما إتصلنا به

و إلى كل من ساهم في هذا العمل نتقدم له بأسمى العبارات والشكر مع التقدير والعرفان.

ريمة و منال

مقدمة

مقدمة

الشعر فن من فنون الأدب الراقي يعتبره صاحبه من إحساس صادق ووجدان خالص من خلال موهبة وثقافة، وقدرة وفصاحة فقر إليه اللفظية ذات الجرس الموسيقي تحرك الألباب وأوزانه وقوافيه تهز مشاعر النفس، وسحر ألفاظه، وتناسق أوتاره وحمال نغماته تفتح أمام عشاقه آفاقا واسعة من الجمال فالشاعر الموهوب يعزف بقيتارته على أوتار القلوب، وبشكل من الألفاظ عقودا من اللؤلؤ المنظوم ويرسم بريشته لوحة تعبيرية تأخذ مكانها في عالم الخلود.

فالشاعر ينطلق في عاطفة وشعور وتجربة تعبر عن إحساس الشاعر بالألم أو اللذة والسرور, ومن بين الشعراء الذين نقلوا إلينا أحاسيسهم وعواطفهم جبران وخليل جبران وهو موضوع بحدثا, حيث عبر لنا تجربته عن آلامه ولذاته وقد فتح أدب جبران الباب للكثير من المسائل النقدية في ضوء الربط بين أحد العناصر الفنية التي تجمع التاريخ بالمعاصرة وهو ما ينحصر في "المكان" وهذا الأخير له أهمية كبيرة في التجربة الشعرية المعاصرة فهو ذو تماس عميق ومباشر بالحياة الإجتماعية.

فأدباء المهجر وخاصة "جبران" تعاملوا مع الأمكنة والأشياء إلا لمجرد أنها استفزتهم أو أنهم كشفوا فيهما ما ينمي قدرة الحدس لديهم وإنما تعاملوا معها لحظة وجودهم الكامل فيها، أما عن "جبران" فهو من الناحية المعرفية امتلك القدرة على تجاوز المحدود عبر ذاته الرائية التي شقت طريقها إلى العالمية عبر ملامح بيئته.

لذلك ارتأينا أن يكون أدباء المهجر والشاعر "جبران" كنموذج ودور المكان في بلورة مسار القصيدة الجبرانية فكان موضوع مذكرتنا "المكان عند أدباء المهجر" جبران خليل جبران –نموذجا– وما كان اختيارنا لهذا الموضوع إلا عن وعي بأهمية مثل هذا النوع من الدراسة مع حب الغوص في عوالم الشعر والكشف عن جمالياته ورموزه، ولإثراء هذا الموضوع قمنا بالإجابة على جملة من التساؤلات من بينها: كيف كان المكان عند أدباء المهجر؟

وماهية المكان في التجربة الشعرية؟ وكيف وظف "جبران " المكان في قصائده؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات انتهجنا وخصصنا فصلين تستبقهم مقدمة ومدخل وتتلوهم خاتمة وقائمة المصادر والمراجع ففي المدخل حاولنا إلقاء نظرة حول تمظهرات المكان انطلاقا من الشعر الجاهلي وصولا إلى الشعر الإسلامي الأموي العباسي والأندلسي، أما الفصل الأول فقد خصصناه للجانب النظري والذي جاء تحت عنوان مفهوم المكان وأنواعه الذي قسمناه بدوره إلى مبحثين،

المبحث الأول مفهوم المكان تضمن عناصر كالمفهوم الأدبي، الفلسفي، اللغوي ومفهومه عند الغرب وعند العرب.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه للجانب التطبيقي تحت عنوان المكان في الشعر المهجري وفيه عالجنا علامات المكان عند أدباء المهجر أما المبحث الثاني تحت عنوان صور المكان عند"جبران خليل جبران"

أما الخاتمة فقد كانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال بحثنا هذا. وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي في قيامنا بهذا العمل.

كما اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع مثل الدواوين الشعرية، وكتاب المجموعة العربية الكاملة لجبران جبران، وذلك لطبيعة الموضوع.

مدخل

إن للمكان نكهة خاصة تولد في الأديب إحساسا متميزا بجعله ينتشئ و يتصهد وجدانيا كلما لامس شعوره جانبا من ذلك المشهد المكاني الغائر في أعماق ذاكرته ، وهو الأمر الذي كان يدفع الشاعر القديم إلى قطع الصحاري الموحشة و البراري المقفرة و المسافات البعيدة متكبدا و عثاء السفر و مشقة الترحال ، فالمتأمل للمتن الشعري العربي يلاحظ إن أول تمظهرات المكان فيه تتمثل في وقوف الشعراء الجاهلين على الأطلال حيث أن الديار الشاحبة المهجورة كانت تستوقف الشاعر لتمحنه كثيرا من شحوبها ، فيقول قصتها بكثير من المعاناة وقليل من السلام وكان يسعى من خلال وقوفه محاور للأشياء و الأماكن في مطالع قصائده في لحظات التذكر و الاستعادة للماضي إلى إعادة بناء علاقته مع تلك الأماكن لاستحضار بعض تفاصيلها وذلك قصد إجلاء ما تنطوي عليه من قيم و دلالات وجودية و فلسفية تساعده على الانسجام مع ذاته ، و خلف التواصل بين حاضره و ماضيه .

و إننا حين نتأمل توظيف المكان من خلال الطلل في تجربة الشاعر الجاهلي نجده متعدد التمظهر:

1 الديار : و هي الأماكن التي بكاها الشاعر ، قال امرؤ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام[1]

ويقول النابغة الذبياني:

يا دار مية بالعلياء ،فالسند أقوت وطال عليها سالفا الأيد

وقفت فيها أصيلانا كي أسائلها عيت جوابا وما بالربع من احد

إلا الاواري لاياما أبيتها و النؤي كالحوض بالمظلومة الجلد [2]

واضح أن الشاعر في هذه الوقفة أراد أن يبرز صمود الطلل من خلال البقايا الشاهدة على الاواري ، النؤي في إيماءة منه إلى خلوده ، وبقائه صامدا على الرغم مما تعرض له من نائبات الزمن و تعاقب السنين

ويقول زهير بن أبي سلمى:

و دار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم[3]

---

[1] – امرؤ القيس ، الديوان (ت) مصطفى عبد الشافي(,د– ط)، دار بيروت للنشر، لبنان 1986,ص162.

[2] –باديس فوغالي ، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ط1، عالم الكتب الحديث ، عمان ,2008ص 266.

[3] – نفس المرجع ، ص221.

و يقول عنترة ابن شداد :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

اثني علي بما عملت فإنني سمح مخالفة إذا لم اظلم [4]

2 الأطلال: وهو المكان الذي يدل على انفراط عقد الجماعة أو رحيلهم بعيدا عن الشاعر.

يقول امرؤ القيس:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وهل يعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال[5]

إن إلقاء الشاعر التحية على الطلل الباقي في هذه الوقفة يندرج في نسق إحياء الماضي الجميل المهشم بفعل الزمن المدمر و اثر حدثه في وجدان الشاعر ، فقد أفاض عليه بالتحية الصباحية لمالها من دلالة على ربوع الطلل .

و هذا طرفه بن العبد يذكر أطلال خولة التي لم يبق منها إلا ما اختلط الحجارة و الحصى **يقول** :

لخولة أطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى و تجلد [6]

ويقول زهير ابن أبي سلمى :

امن آل ليلى عرفت الطلولا ندى حرض ما ثلاث مثولا

بلين و نحتسب آياتهن على فرط حولين رقا محيلا [7]

3- العرصات : هي ساحة الدار و بهو الخيام , يقول امرؤ القيس :

ترى بعر الأرام في عرصاتها و قيعانها كأنه حب فلفل[8]

و يقول عنترة :

بالأمس كان بك الظباء أوانس و اليوم في عرصاتك الغربان [9]

---

[4]- عنترة الديوان،ط 1، دار صادر بيروت 1968 ص15.

[5]-امرؤ القيس ، الديوان ، ص 139 .

[6]-التبرزي ،شرح المعلقات العشر ، ط 1 ، الفيصلية السعودية 2005 ص 69 .

[7]-زهير ابن ابي سلمى ، الديوان ، (ت) علي فاعور ، د-ط ، دار بيروت لبنان ، ص 52

[8] -امرؤ القيس ، الديوان ، ص21.

كما أن المكان حاضر في تجربة بعض الشعراء الصعاليك ، كمجال لتصوير وقائع مغامراتهم في الكر و الفر أو وصف مواضع استقرارهم المؤقت و تحركهم للإطاحة بأعدائهم .

يقول الشنفرى :

خرجنا من الوادي الذي بين مشعل و بين الجباهيهات انشات سربتي[10]

هكذا نتوصل إلى أن :« ثبات الطلل و صموده أمام سلطة الطبيعة و جبروتها وفق منظور الشاعر، إن هو إلا إشارة رمزية إلى خلود المكان كنواة رحم في الذاكرة و جدان الشاعر»[11]. إذ يتجلى لدى الشاعر من خلال الطلل رفضه لطمس المكان و ذلك باستعادة ذكرياته الغابرة و الانطلاق من اللحظة الراهنة في محاولة منه تشكيل صور الحياة في استمرارها و التعلق بها.

أما إذا انتقلنا الى العصر الاسلامي و الأموي فتجد الوقوف على الأطلال في القصائد و لكنه مجرد تقليد أي أن الشعراء لا يقفون على الأطلال حقيقية، و إنما يدرجون ذلك محاكاة للجاهلين فقط و هذا يعني أنه أصبح فارغا من محتواه المأساوي أو الوجودي القديم

يقول ذو الرمة:

وما يرجع الوجود الزمان الذي مضى ولا للفتى من دمنة الدار مجزع
عشية مالي حيلة غير أنني بلقط الحصى و الخط في التراب مولع
اخط و أمح الخط ثم أعيده بكفي و الغربان في الدار وقع [12]

و يقول الأخطل:

أتعرف من أسماء بالجدر محيلا و نؤيا دارسا قد تهدما
و موضع أحطاب تحمل أهله و موقد نار كالحمامة أسحما [13]

ويقول الطرماح :

لمن ديار بهذا الجزع من ربب بين الاخرة من هو بان فالكتب .[14] وقد

واصل الاهتمام بالمكان مع الشعراء العباسيين وهذا من خلال القصائد التي كتبت في رثاء المدن ووصف القصور ، فهذا البحتري واصفا قصر الساج في إحدى قصائده :

---

[9]–المرجع السابق ص 229.

[10]–باديس فوغالي : الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ص245 .

[11]–نفس المرجع ص108.

[12]–ذو الرمة، الديوان (ت) احمد حسن سبح ،ط 1– دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1995 ص 155.

[13]– الأخطل ،الديوان (ت) راجي الأسمر ، (د–ط) ، دار الكتاب العربي بيروت 2004 ، ص 32.

وكان قصر الساج **حلة عاشق** **برزت لوامقها بوجه مشرق**

قصر تكامل حسنة في قلعة **بيضاء واسطة لبحر محدق** [15]

فالشاعر هنا يصف قصر الساج كأنه حلة العاشق ، الكامل في الحسن.

كما يبرز حضور المكان عند الشعراء الأندلسيين الذين جسدوا في أشعارهم حبهم لبعض المدن و الحواضر أحيانا كما جسدوا أحيانا أخرى أسفهم لافتقاد تلك الأمكنة و حسرتهم على سقوطها .

يقول ابن خفاجة واصفا جمال الأندلس :

يا أهل أندلس لله دركم **ماء و انهار و أشجار**

ما جنة الخلد إلا في دياركم **و هذه كنت لو خيرت اختار**

لا تحسبوا في غد لن تدخلوا سقرا **فليس تدخل بعد الجنة النار**[16]

فالشاعر هنا يصف الأندلس ذات المياه و الأنهار و الأشجار و كأنها جنة الخلد وانه لو خيرفي أي مكان يدخله فانه سيختار الأندلس.

و يقول أيضا واصفا احد الأنهار:

لله نهر سال في بطحاء **أشهى ورودا من لمى الحسناء**

متعطف مثل السوار كأنه **و الزهر يكنفه مجرد سماء**[17].

فالشاعر هنا شبه النهر و هو ينعطف كأنه سوار و الزهور ملتفة حوله .

يتغنى ابن سعيد بنهر حمص و يعده مفخرة لكل الأندلسيين فيقول:

يا نهر حمص لاعدتك مسرة **ماء يسيل لديك أم صهباء**

كل النفوس تهش فيك كأنما **جمعت عليك شتاتها الأهواء**[18]

---

[14]–الطرماح ،الديوان (ت) عزة حسين (د–ط) ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي دمشق 1968، ص9.

[15] –البحتري ، الديوان، تحقيق كامل الصيرفي ،ط3، دار المعارف بيروت ،1971، ص464.

[2] – محمد احمد دقالي ، الحنين في الشعر الأندلسي،ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر. - الإسكندرية،2008، ص250

– [17]–ابن خفاجة الديوان ، تحقيق سيد غازي ، ط2، نشأة المعارف ، الإسكندرية ،1979، ص 156.

[4]محمد احمد دقالي ، الحنين في الشعر الاندلسي،ص251.

الفصل الأول:

مفهوم المكان و أنواعه

مفهوم المكان:

إن لفظة المكان وما تثيره من دلالات ومعان و أبعاد ، تنطوي على جملة من المفاهيم منها المفهوم اللغوي المجرد من القرائن الدلالية ، التي تتخذ أبعادها من مختلف السياقات التي تنتجها المعرفة الحسية . ومنها المفهوم الفلسفي الذي يتكئ على زاد معرفي سابق لماهية الأشياء الموجودة ، و منها ما هو أدبي فني ، يمنح من الأجواء التي تشكلها النصوص في نسج المكان من دلالات إيحائية رمزية لها أبعاد شتى ، تفصح عنها الهواجس المركزية الكامنة وراء محورية العمل الإبداعي ذاته محورية.

ا- لغويا:

إن السؤال عن المكان مرتبط في الواقع بالسؤال عن الوجود الإنساني ، هذا الوجود الذي تحقق دوما في ظل مكان حيث كان رحم الأم المكان الأول الذي مورست فيه الحياة بشكل أو بأخر ، ثم جاء المهد ، ثم البيت ، ثم الشارع ، المدينة أو القرية ، ثم أمكنة أخرى يكون أخرها القبر.

و المكان من الناحية اللغوية « اسم مشتق يدل على ذاته، أي ينطوي معناه على إشارة دلالية ممتلئة ، تحيل إلى شيء محجم ماثل ، و محدد له أبعاد و مواصفات ، و لفظة المكان مصدر لفعل الكينونة ، و الكينونة هي الخلق الموجود و الماثل للعيان الذي يمكن تحسسه و تلمسه »[1]

نستثني بذلك المفاهيم المعنوية هذا عن المصدر أما الفعل فمفهومه من:«كون, يكون تكوينا الله الشيء: أخرجه من العدم إلى الوجود، وكون الشيء، ركبه وألف بين أجزائه».[2]

جاء المكان في لسان العرب تحت مادة ' كون' «الكون الحدث تقول العرب : لا كان ولا تكون لا كان :لا خلق ولا تكون : لا تحرك أي مات و الكائنة : الأم الحادث و كونه فتكون : فتكون أحدثته فحدث».[3] و جاء في نفس المصدر تحت مادة 'مكن '«المكان الموضع ، و الجمع ، قال ثعلب:يبطل أن يكون مكان فعالا لان العرب تقول : كن مكانك ، و قم مكانك و اقعد مقعدك

---

[1]- باديس فوغالي :الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ،ط1،عالم الكتب الحديث،عمان2008ص169.

[2]- المرجع نفسه ص.170

[3]-ابي الفضل بن منظور :لسان العرب مج 14 ،ط 4، دار صادر بيروت 2005 ص 113.

فقد دل هذا على انه مصدر من كان أو موضع منه » [1] هنا يؤكد ابن منظور بالرغم من ذكره المكان ضمن الجذرين (كون ، و مكن) ان المكان مشتق من كون لا من مكن .

ب–فلسفيا:

يعد المكان من المتغيرات المهمة في حياة الإنسان خاصة إذا تعلق الأمر بشاعر ، إنما يسكن ذاكرته و يأسر خياله ، و المكان الذي يأسر الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا خاضعا لأبعاد هندسية و حسب ، بل هو مكان عاش فيه الإنسان ليس بطريقة موضوعية و إنما لكل ما للخيال من تحيزات .

و لقد تعددت تعريفات الفلاسفة للمكان كل حسب نظرته و أهم هؤلاء الفيلسوف اليوناني الذي عد المكان نهاية الجسم حيث عرفه: «هو نهاية الجسم المحتوى».[2]

أما إخوان الصفا يرون أن «مكان كل متمكن هو الجسم المحيط به »[3] أي المكان هو ما يحيط بالجسم.

أما ابن سينا فيرى أن المكان «هو ما يكون الشيء مستقرا عليه، أو معتمدا عليه، أو مستندا إليه»[4] يعني إن المكان هو كل ما تستقر عليه الأشياء و تعتمد عليه الأشياء و تعتمد عليه و تستند إليه.

أما إقليدس فيذهب إلى أن المكان يملك ثلاثة أبعاد هي الطول و العرض و العمق.

أفلاطون فيعرف المكان بأنه :«ما يحوي الأشياء ، و يقبلها ، ويتشكل بها»[5]

أي أن المكان هو حاو للأشياء وهذا ما ذهب إليه العالمان الفيزيائيان نيوتن و كلارك و يضيفان إلى تعريف أفلاطون خصائص اللاتناهي ،الأبدية،القدم و عدم الفناء.

أما جبران خليل جبران فيضيف إلى المكان دلالة أخرى و هو بذلك يعتبر المكان و كأنه فضاء من الأرواح ، فنكملها و تجيبنا عن تساؤلاتنا ، يقول جبران:

قال محجوبا أنا أنت فلا تسألن الأرض عيني و السما

فإذا ما شئت أن تعرفني فارقت المرأة صبحا و مسا [1]

---

[1]– المرجع نفسه ص114.

[2]–حنان محمد موسى حمودة:الزمكانية و بنية الشعر المعاصر، ط1.جدار الكتاب العالمي، عمان 2006ص18.

[3]–المرجع نفسه ص18

[3]–المرجع نفسه ص19

[4] – باديس فوغالي :الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ،ص 171.

[5]–جبران خليل جبران : البدائع و الطرائف ،(د–ط) ، دار الجيل للنشر و الطباعة ،بيروت،2004،ص.25

كان الأرض و السما ليسا مظهران من مظاهر الحياة الجامدة ، فأراد جبران أن يبث فيهما نوعا من الحيوية لتجيبه عن تساؤلاته اليومية.

من خلال عرض هذه التعاريف يستخلص أن مفهوم المكان سواء أن كان حاويا للشيء أو محيطا بالجسم مستقرا عليه ، فكل هذه التصورات عن المكان حسية مرتبطة بوجود أشياء محسوسة.

لهذا يمكن القول بان نظرية الفلاسفة للمكان قد ارتبطت بعوامل كثيرة منها :الفلسفي البحت، وما يدخل في نطاق الفيزياء و المنطق ، و هو ما يبقى مجرد اصطلاح أنشاه الإنسان لكي يحدد موضعه في المكان و لكي يفهمه فهما عقليا.

ج –أدبيا :

إن المكان في الأدب ليس مجالا هندسيا ، تضبط حدوده أبعاد و قياسات خاضعة لحسابات دقيقة كما هو الشأن بالنسبة إلى الأمكنة الجغرافية ذات المواصفات الطبوغرافيا .إنما يتشكل في التجربة الإبداعية انطلاقا و استجابة لما عاشه ، و عايشه الأديب ، إن على مستوى اللحظة الآنية ماثلا بتفاصيله و معالمه ، أو على مستوى التخيل وافدا بملامحه و ظلاله .

فالمكان الحقيقي لا يحتفظ بخصائصه كاملة عند تحوله إلى نص ذلك أن خيال الشاعر الذي يشكل المكان يتجاوز الواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع غير انه يظل مع ذلك واقعا محتملا لأن جزئياته تكون حقيقية.

المكان أكثر من منظر طبيعي ، انه حالة نفسية يستعاد عن طريقها التاريخ الشخصي المتجذر في اللاوعي المرتبط بهذا المكان أو ذاك، وهذا ما تذهب إليه خالدة سعيد التي تقول:«المكان الذي يستحضر لارتباطه بعهد مضى ، أو لكونه علامة في سباق الزمن و هكذا يتخذ المكان شخصية مكانية »[2] فالمكان هو الصفحة الوحيدة التي تطل على الماضي و تؤرخ له بإخلاص.

و المكان في الأدب ، أو في التجربة الإبداعية بوجه اخص هو:«الذي يشعرنا بوجوده ، و فيه يتداخل إحساسنا به تداخلا يصعب عزلنا عنه(...)فيتحول المكان على إيقاع مشاعرنا و يكتسب

---

[2] – حنان محمد موسى حمودة:الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ص23.

مظاهر معينة إيجابا أو سلبا, حسب إحساسنا و ما تستوحيه مشاعرنا منه»[1]

إذن لعب المكان في حياة الإنسان منذ القدم و لا يزال دورا أساسيا، تجلى أثره في تشكيل وجدانه على نحو معين ، ووصم حياته بسيمات خاصة ، تركت آثارها في تحركاته و سكناته ، وأكثر ما تجلى هذا التأثير في الأدباء على مر العصور,بحكم أنهم يمتلكون القدرة على إعادة إنتاجه ، إكسابه إمكانية التجدد و التواصل و جبران خليل جبران ينتج من خلال استعماله للمكان صورا فنية جميلة تتجلى في مختلف روائعه ، يقول في قصيدة أغنية الليل :

سكن الليل ،وفي ثوب السكون تختفي الأحلام

وسعى البدر و للبدر عيون ترصد الأيام

فتعالي يا ابنة الحقل تزور كرمة العشاق

نطفي بذياك العصير حرقة الأشواق.[2]

فجبران هنا يصور الحقل و كأنه إنسان و له بنت ، يحس ويعشق و يفهم و يحن و يجمع بين سكون الليل و فساحة العقول و جمال أشجاره لينسى بذلك هموم العشاق و عذابهم .

<u>أ-عند الغرب :</u>

حاول النقاد الغربيون التمييز بين المصطلحات التالية ، و التي تصب جميعا في مفهوم المكان وهي : الحيز ، المجال، الموقع و الفضاء.فالمنظرين الألمان ميزوا بين مكانين متعارضين في العمل الحكائي هما: **RAUM/LOKAL**

حيث عنوا بالأول المكان المحدد الذي يمكن أن تضبطه الإشارات الإختبارية كالمقاسات و الأعداد ، في حين قصدوا بالثاني الفضاء الدلالي الذي تؤسسه الأحداث و مشاعر الشخصيات في الرواية.

---

[1]- باديس فوغالي :الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ،ص 182.

[1]-جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية و تقديم و مراجعة و ترتيب ميخائيل نعيمة ط 1 ،دار صادر بيروت 2002 ص 358.

و يذهب يوري لوتمان إلى تعريفه على أنه :(مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر و الحالات و الوظائف و الأشكال و الصور و الدلالات المتغيرة التي تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الامتداد و المسافة)[1] العلاقات التي يعنيها هذا التعريف هي الطبقات المكانية أو الثنائيات الضدية كألفاظ القريب ، البعيد ، فوق ، تحت، يمين ، يسار.

أما غاستون باشلار فيتمثل المكان عنده في البيت ، و هذا لا يعني أنه لا مكان في العالم سوى البيت ، لكن باشلار و انطلاقا من تركيزه على قيم الحميمية و الحماية يعتقد أن كل الأمكنة المسكونة ، و التي يحلم بها تحمل في جوهرها مفهوم البيت.

يقول باشلار :" المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يظل مكانا محايدا خاضعا لقياسات و تقييم مساح الأراضي ، لقد عيش فيه لا بشكل وضعي ، بل بكل ما للخيال من تحيز ، هو بشكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم و ذلك لأنه يركز الوجود في حدود تحميه"[2] . أي أن المكان عنده ليس مجرد موضع بل يحمل من الذكريات الماضية التي يحاول الشعراء استرجاعها من خلال المكان و الموضع ، فهو لا يخضع فقط لقياسات مساح الأراضي.

أما النقاد الفرنسيون فلم يكتفوا بمصطلح LIEU الذي يعني الموقع ، لذا عمدوا إلى استخدام كلمة

ESPACE بمعنى الفضاء إذ اعتبر بولي الفضاء محتوى تتجمع فيه مجموعة الأشياء المتفرقة أو عملية التذكر.

كما لم يكتف النقاد الانجليز باستخدام مصطلحي (SPACE/PLACE) بمعنى (المكان و الفضاء) بل أضافوا مصطلحا أخر LOCATION و الذي عنوا به بقعة للتعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث.

ب-عند العرب :

يمثل المكان الحيز الأكبر في حياة الإنسان ، ففيه يعيش ، و يحتمي و إليه يعود بعد الموت فنحن لا يمكن أن نتصور وجودنا بلا مكان ، بل و حتى أن هذا الكون الفسيح بنفسه الكبير بحجمه لابد له من مكان يحتويه ، و لقد أدرك دارسو الأدب و ناقدوه ما للمكان من أهمية بارزة و حضور مشرق على مساحة النص الأدبي فأولوه عناية خاصة و رعاية كبيرة مما يمكن أن

---

[1]-باديس فوعالي : الزمان و المكان في الشعر اللجاهلي ص175.

[2]-حنان محمد موسى حمودة : الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ص 22.

نعده تفجيرا تنظيريا لمصطلح نقدي قامت على مفهومه و أنماطه دراسات كثيرة بعد أن كان مصطلحا ميثولوجيا فلسفيا قديما.

نجد عبد الملك مرتاض قد أعطاه أهمية قصوى في العديد من دراساته حيث يعرفه في كتابه تحليل الخطاب السردي بقوله :(هو كل ما عنى حيزا جغرافيا حقيقيا ، من حيث نطلق الحيز في حد ذاته ، على كل فضاء خرافي أو أسطوري ، أو كل ما يند عن المكان المحسوس كالخطوط و الأبعاد و الأحجام ، و الأثقال و الأشياء المجسمة مثل : الأشجار ، و الأنهار و ما يعتور على هذه المظاهر الحيزية من حركة أو تغير)[1] كما نجده يفرق بين المكان و الحيز ، إذ يرى أن المكان بدل على ماهو جغرافي ماثل بتفاصيله ، أما الحيز فيدل على ماهو غير ذلك في النص و يعني به الحيز النصي المشكل من سرد و وصف و حوار و ما إلى ذلك.

إلا أن المكان المتلمس في المتن الشعري ليس المكان المتلمس في الفن الروائي المحدد بالأبعاد و الأحجام ، إنما هو الذي يكون مائلا بتفاصيله ، أو قادما من معايشة سابقة عن طريق القناة الارتجاعية المرتبطة بالذاكرة و المخزون الذهني ، و في هذه الحالة يمكن أن يسهم الخيال في إعادة بناء و تشكيل الصورة المكانية التي تهشمت بفعل التقادم و المؤثرات الطبيعية.

يقول عز الدين المناصرة "المكان منا و فينا، نبكي له بحرقة في الليالي، و ندخل فيه و يدخل فينا دون حواجز، نستحضره كلما حوصرنا في ترانزيت المطار ، و في الفندق، و في السجن فلولا الأمكنة لتحولت الأماني و الخيالات و المنامات إلى أرقام سجينة لا حرية لها).[2] فالمكان الماضي مكان مشبع ، لذلك ينشط الخيال ، و تتزاحم الصور المليئة بالرموز و الدلالات عندما يتعلق الأمر به ، بينما المكان الملتصق بالحاضر هو مكان غير مشبع يحرك الحواس فقط و بعبارة أخرى مكان الحاضر لا يمتلك تاريخا نابضا.

كما يعبر عن ذلك جبران خليل جبران في قصيدته (الشهرة) ، حيث صاغ من ظاهرة المد و الجزر مفهوما خاصا للشاطئ و البحر حيث يقول :

كتبت في الجزر سطرا على الرمل أودعته كل روحي مع العقل

---

[1]-عبد الملك مرتاض : تحليل الخطاب السردي ، معالجة تفكيكية سينمائية مركبة لرواية زقاق المدق ، د–ط ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1995، ص245.

[2]-عز الدين المناصرة جمرة النص الشعري (مقاربات في الشعر و الشعراء ، و الحداثة و الفعالية)ط1 دار مجدلاوي ،عمان،2007 ، ص280.

وعدت في المد أقرأ و أستجلي فلم أجد في الشواطئ سوى جهل [1]

فالشاعر هنا أودع في الجزر سطرا من رسائله التي تحمل أحلامه و أماله، رغم أنه يعلم أن ذلك يمثل نوعا من الجهل.

2-أنواع المكان :

تعددت أنساق المكان و أنماطه عند الدارسين فلم تكن النظرة واحدة بخصوص نمط معين و من تقسيمات المكان نجد :

- المكان الموضوعي : تتلخص خصائصه في انه يبني تكويناته من الحياة الاجتماعية و تستطيع أن تؤثر عليه بما يتماثله اجتماعيا و واقعيا أحيانا.

- المكان المفترض : هو ابن المخيلة البحت ، الذي تشكل أجزاؤه وفق منظور مفترض و هو قد يستمد بعض خصائصه من الواقع ، و هذا التقسيم نجده عند الناقد ياسين النصير.[2]

- أما الناقد غالب هلسا فقد قسم المكان إلى ثلاثة أمكنة هي :

- المكان المجازي :مكان غير مؤكد ، إنما هو أقرب إلى الافتراض ، يدخل ضمن هذا النمط (المكان التاريخي انطلاقا من نعوت مجردة وصفات مفترضة يأتي بها الراوي أو الشاعر كالحديث عن الفخامة و الجمال و الفقر و البؤس) حسب غالب هلسا.

- المكان الهندسي : و هو المكان الذي يعرضه الأديب من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية.

المكان بوصفه تجربة معاشة : و هو مكان عاشه المؤلف ، و بعد الابتعاد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال فأثر في أدبه.

- أما بروب فقد قسم المكان إلى ما يلي :

المكان الأصل : و يمثل عادة مسقط رأس المؤلف أو محل إقامته و عائلته.

---

[1]- جبران خليل جبران : المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ص361.

[2]-محمد عويد محمد ساير الطربولي المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي ،ط1،مطتبة الثقافة الدينية القاهرة ، 2005 ، ص13.

المكان الوقتي أو العرضي: و هو المكان الذي يتبلور فيه الاختبار التشريحي.

المكان المركزي : و هو المكان الذي يحصل فيه الاختبار الرئيسي أو الانجاز .

– أما شجاع العاني فقد قسم المكان إلى أربعة أصناف :

المكان المسرحي : و هو مكان مجازي أو افتراضي يتميز بأنه سلبي.

المكان التاريخي : و هو المكان الذي لا ينفصل عن الزمان ، و هذا قد يوحي لنا بوجود مكان له علاقة بالزمان و أخر لا علاقة له بالزمان .

المكان الأليف : و هو كل مكان يثير الإحساس بالألفة ، و كل مكان عشنا فيه و شعر فيه بالدفء و الحماية .

– المكان المعادي: و هو كل مكان يثير الإحساس بالضيق و العداء لدى البشر يتمثل في السجون و المعتقلات و غيرها.

– أما أبراهام مول و إليزابيث رومر فقد قسما المكان إلى أربعة أنواع و ذلك حسب حرية المرء فيها :

- عندي : و هو المكان الحميم الذي يملك المرء فيه كل السلطة.
- عند الاخرين : شبيه بالأول في أنه يمنح الإنسان شيئا من الألفة و الحميمية ، مختلف عنه في كون الإنسان يشعر فيه بأنه خاضع لسلطة الغير.

3–الأماكن العامة : و هي أماكن تخضع للسلطة العامة , نشعر فيها بالحرية ، و لكنها حرية محدودة.

المكان اللامتناهي : (و هو المكان الذي نستطيع أن نمثل له بالصحراء...ليس ملكا لأي أحد)[1] بالإضافة إلى هذه التقسيمات السابقة للمكان يوجد تقسيم أخر يشمل على ثلاثة أنواع من المكان و هي كالأتي :

[1]– فتيحة كحلوش بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري ، طَ1، الانتشار العربي ، بيروت 2008 ،ص243.

1- المكان الطباعي : و يقصد به المكان الذي يحتله النص على الصفحة ، ذلك أن الكتابة ليست تنظيما للأدلة على أسطر أفقية و متوازية فقط ، إنها قبل كل شيء توزيع لبياض و سواد على مسند و هو في عموم الحالات الورقة البيضاء.

يدخل ضمن المكان الطباعي كل ماله علاقة بالنص و طريقة عرضه على الصفحة البيضاء بدءا بحجم الكتاب مرورا بالورق و نوعيته و مختلف التقنيات الطباعية التي يوظفها الشاعر في تنظيم صفحته من فراغات و حواشي و ألوان ، و انتهاء بالغلاف و ما يحويه من رسوم و ألوان.

2-المكان الجغرافي : و هو المكان الذي تدور فيه الأحداث أو المكان الذي يغري الشاعر فيتحول إلى موضوع تخيل ، و هو غالبا ما يحدد جغرافيا من طرف الكاتب فإذا ذكر اسم المدينة مثلا أو المنطقة فنحن ندرك تلقائيا الحدود الجغرافية لهذه الأماكن. و المكان الجغرافي ينقسم بدوره إلى نوعين من الأماكن و التي تتمثل في:

2-1 الأماكن الرئيسية :

2-1-1 القرية : مكان ريفي بسيط ، جميل و هادئ لا يعرف كثافة سكانية كبيرة فكل من في القرية يعرف أنحاءها و سكانها فردا فردا ، و من هنا تنشأ الألفة و المودة بين أهل القرية و تتميز جغرافيا بامتداد حقولها ، و جبالها الشامخة ، و مراعيها ، و بساطة بنيانها الذي يعكس حياة أصحابها و كرمهم و تأثرهم بالطبيعة الريفية.

2-1-2 المدينة : مكان صاخب لا يعرف الهدوء ليلا و نهارا ، يعاني فيها الناس التوتر و القلق و الفراغ ذلك أنهم غرباء عن بعضهم البعض ، و يشعر المرء فيها بالضياع و ذلك لكبرها و شساعتها و كثرة شوارعها ، فالإنسان بطبيعته يحب الأماكن الصغيرة الحجم بحيث يحكم سيطرته عليها و كلما كبرت أفقدته الإحساس بالسيطرة، و قد تغنى الشعراء بالمدن فنجد إيليا أبو ماضي يقول في قصيدة فلسطين :

ديار السلام ، و أرض الهنا يشق على الكل أن تحزنا

فخطب فلسطين خطب العلى و ما كان رزء العلى هينا[1]

[1]-إيليا أبو ماضي الديوان(ت) جورج شكور ، ط1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت 2004 ،ص444.

فالشاعر هنا يصف فلسطين بأنها ديار السلام و أرض الهناء و أن أي خطب يحل بفلسطين هو خطب العلى.

قد تذمر الشعراء من المدينة ، فنجد جبران خليل جبران تذمر و حاول الهروب منها ، و تأثر بغزو الاسمنت على المساحات الخضراء ، و التلوث الذي طال المدن ، و حاول أن يرمي نفسه في أحضان الطبيعة مجسدا ذلك في مختلف أشعاره مثل قصيدة (المواكب) و في مؤلفه البدائع و الطرائف و صور فيهما الطبيعة بأسلوبه الخاص إذ يقول :(لقد سرت في سهولك ، و صعدت جبالك ، و هبطت إلى أوديتك ، و تسلقت صخورك فعرفت حلمك في السهل انفك على الجبل و هدوئك في الوادي و عزمك في الصخر و تكتمك في الكهف).[1]

و يقول أيضا :

يا نفس إن قال الجهول الروح كالجسم تزول

و ما يزول لا يعود

قولي له إن الزهور تمضي و لكن البذور

تبقى دائمة الخلود[2]

و يصور بذلك خلود الطبيعة ، فرغم أن الزهور في الطبيعة تذبل إلا أنها لا تزول بل تترك بذورا أخرى لتنبت كزهرة مرة أخرى ، و لكن النفوس تزول و تموت و بذلك يسند إليها صفة الخلود.

2-2 الأمكنة الفرعية :

إن الأمكنة الفرعية ملتحمة تشكل ما يسمى بالأماكن الرئيسية التي سبق و أن تطرقنا إليها. لذلك يمكننا القول إن الأماكن الرئيسية في مجملها مجموعة من الأماكن الفرعية، فالشاعر مثلا عندما يتطرق إلى وصف قرية معينة ، يصف مروجها و زقاقها و بيوتها العتيقة ، و يتطرق إليها بالتفصيل و كلها أماكن فرعية تشكل لنا مكانا رئيسيا و هي القرية. فهذه الأخيرة التي هي بمثابة مكان رئيسي هي تشكيل متلاحم من الأمكنة الفرعية.

---

[1]-جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ، ص112.

[2]-المرجع نفسه ،ص75.

2-2-1 البيت أو الغرفة: البيت مملكة الإنسان الذي يمارس فيه حياته و وجوده و يشعر بذاته فيه ، أما الغرفة فهي المكان الأكثر احتواء للإنسان ، و الأكثر خصوصية ، و فيها يمارس حياته و يحمي نفسه ، و هي المكان الضيق الواسع في آن معا ، بمعنى أنها ضيقة بحدودها الهندسية و الجغرافية ، واسعة من ناحية أن الإنسان يطلق فيها العنان لنفسه و مخيلته.

2-2-2 الكهف : مكان يلجأ إليه الإنسان في حالة الهروب من الواقع و الانطواء على الذات و يشعر فيه بالأمان.

2-2-3 المقهى : مكان لتجمع الكتاب و الشعراء. و قد يكون مكانا لتجمع العاطلين عن العمل لنفث همومهم فيه.

2-2-4 السجن : مكان تحبس فيه حريات الناس بغض النظر عن أصنافهم و أسباب حبس حرياتهم , فهو مكان له حدود و حواجز لا يستطيع من بداخله الخروج منه إلا بتحطيم هذه القيود و يقصد بهذا السجن الجسدي . أما السجن المعنوي فهو الذي تطرق إليه خليل جبران في إحدى قصائده فهو ينظر إليه على أنه كابت الحرية و الأحلام المشروعة ، و هو الذي يقف أمامنا و أمام تحقيق الأهداف السامية و الحرية المنشودة ، إذ يقول :

أيها الشحرور غرد　　فالغناء سر الوجود

ليتني مثلك حر　　من سجون و قيود

ليتني مثلك ورحا　　في فضا الوادي أطير

أشرب النور مداما　　في كؤوس من أثير[1]

الشاعر هنا ينبذ كل ما يعيق حرية المرء و يحيل بينه و بين العيش مثل الطيور ، فالسجن عند جبران يتمثل في كل العقبات التي تحيل بين المرء و حريته المطلقة سواء كان معنويا كأن تحول بيننا و بين الحقول و الغابات عقبة ما أو ماديا كالسجون المعروفة.

[1]-جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ،ص244.

2-2-5 القبر: أخر مكان يكون فيه الإنسان ، يعطي شعورا بالرهبة ، و صورته قابضة للنفس ، و هو حيز مكاني ضيق يمثل مصير البشرية بمختلف طبقاتها ، و لقد تغنى الشعراء بالقبور لأنها تحوي الأجداد و الأمهات .

لو عرفنا ما تركنا لحظة تنثني بين خلو و سهاد

لوعرفنا ما تركنا برهة من زمان الحب تمضي

قد عرفنا الان لكن بعدما هتف الوجدان قوموا و اذهبوا

قد سمعنا و ذكرنا عندما صرخ القبر و نادى اقتربوا[1]

2-2-6 الواد (الساقية) : و هو مكان يمثل بالنسبة لشعراء المهجر فضاء فسيح يهربون إليه من ضجيج المدينة ، للاستمتاع بأصوات العصافير ، و خرير المياه و رؤية الطبيعية البكر التي لا طالما تغنوا بها في أشعارهم ، و يقول في ذلك جبران :

سرت في الوادي و قد جاء الصباح معلنا سر وجود لا يزول

فإذا ساقية بين البطاح تتغنى و تنادي و تقول:

ما الحياة بالهناء إنما العيش نزوع و مرام

ما الملمات بالغناء إنما الموت قنوط و سقام

ما الحكيم بالكلام بل بسر ينطوي تحت الكلام[2]

في ظل هذه الأبيات يصف الوادي و موقعه الاستراتيجي بين البطاح و هو تصوير للطبيعة من زاوية بعيدة واصفا إياها بأسمى الصفات ، و كأنها هي حقا اية تعلن سر الوجود الذي لا يزول.

3- الفضاء الدلالي :

قد يتساءل البعض لماذا الفضاء الدلالي بدلا من المكان الدلالي؟

---

[1]-المرجع نفسه ، ص244.

[2]- جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ،ص364.

إن استعمال مصطلح "الفضاء الدلالي" بدلا من استعمال مصطلح "المكان الدلالي" هذا راجع إلى أنه استعمال يتناقض مع طبيعة الأدب حيث لا وجود لمكان تختبئ فيه الدلالة في النص الأدبي دائما و إنما ما يوجد هو التعبير الموحي ، لهذا جاء استعمال مصطلح فضاء ، و عبارة الفضاء الدلالي ذلك أن الأمكنة الموظفة في نض من النصوص الشعرية تتجاوز دائما واقعيتها بمجرد تحولها إلى جسد لغوي.

بقول محمد الهادي الطرابلسي :(لا مكان خارج فعل المخيلة)[1] و بما أن المخيلة تحذف أحيانا و تضيف أحيانا أخرى فهي تضعنا دائما أمام تعداد التوقعات .و بالتالي يتجاوز التعبير الشعري المعنى الواحد و يمنح القارئ على الدوام فرصة تعداد قراءة النص.

يقول الغدامي:(البيت الشعري يحمل لألف قارئ من قرائه ألف معنى أي أنه بيت بلا معنى محدود و القارئ فقط هو الذي يفسره حسبما تمليه نفسه ، و هذا حق للقارئ مثلما هو مهارة للكاتب)[2]. يقصد الناقد النصوص الحية الثرية التي تتغير بتغير القارئ و تتعدد المفاهيم بتعدد القراء ، فكل واحد منهم يشرحها و يفهمها وفق ميولاته ، و ثقافته الخاصة.

لقد تطرقنا إلى هذه الأمكنة على سبيل التمثيل لا الحصر فالأماكن في العالم متعددة و مختلفة لا حصر لها.

علاقة المكان بالزمان:

إن من الأساسيات الجديرة بالدراسة فكريا و جماليا هي : الزمان و المكان و ذلك لأن الوجود مرتبط بهما و الشاعر العربي يمثل جزءا من هذا الوجود و بالتالي حين يعبر عن الوجود فإنه يعبر عن الزمان و المكان.

- **تعريف الزمان:**

جاء في لسان العربي لابن منظور تحت مادة'زمن' :(الزمن و الزمان اسم لقليل من الوقت و كثيره, الزمان زمن الرطب و الفاكهة ، و زمان الحر و البرد ، و يكون الزمان شهرين إلى

---

[1]–محمد الهادي الطرابلسي بحوث في النص الأدبي (د.ط) ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1968 ، ص22.

[2]–عبد الله الغدامي الخطيئة و التكفير و البنوية التشريعية ،ط3 ، دار سعاد الصباحن الكويت 1993 ،ص269.

ستة أشهر ، و الزمان يقع على فصل من فصول السنة)[1] الزمن عنده مرتبط بالفصل أو الموسم.

لقد اكتسب مفهوم الزمن تقدما مع التاريخ ، و ذلك تبعا للفكر الإنساني و عمق وعيه بالأشياء الموجودة و المحيطة به و الوجود بصفة عامة.

يقول حسام الألوسي:(الوجود هو الحياة و الحياة هي التغيير و التغيير هو الحركة و الحركة هي الزمان ، فلا وجود إذن إلا بالزمان)[2].

فالزمان إذن حلقة أساسية في التكوين الشعري ، فلا وجود للأماكن و الأحداث بمعزل عن العلاقة الزمانية ، فالسؤال عن المكان بالضرورة يؤدي إلى السؤال عن الزمان ، و لا يمكن الحديث عن المكان دون الحديث عن علاقته بالزمان فلا يمكن أن ندرس المكان بمعزل عن الزمان ، و لا يمكن بأي حل من الأحوال أن نفصل الزمان عن المكان و لا يمكننا دراسة المكان بمعزل عن زمانه و العكس صحيح ، بحيث لا يمكن لشيء معين أو أي حدث أن يقع بعيدا عن المكان الذي حدث فيه أو الزمان الذي وقع فيه ، فالحدث فعل و الفعل مرتبط بالزمن الحاضر أو الماضي أو المستقبل.

يقول يوري لوتمان:(التشكيل الشعري لا ينفصل فيه التشكيل الزماني عن التشكيل المكاني و إنما يندمج مع التشكيلان في عملية واحدة , فإن القصيدة بنية زمانية و مكانية في الوقت نفسه)[3].

التشكيل الشعري مزيج من التشكيل المكاني و التشكيل الزماني ، إذ يندمجان في مختلف الصور الشعرية المشكلة للنصوص الشعرية ، دون انفصال أحدهما عن الاخر ، و تتجلى تلك العلاقة بين المكان و الزمان في قصيدة جبران خليل جبران التي تحمل عنوانا زمنيا "بالأمس" ذات علاقة وطيدة بالأمكنة التي ذكرها في القصيدة ، فلا يمكن أبدا فصلها عن بعضها البعض في تشكيل شعري بين الزمنية و المكانية حيث يقول :

---

[1]- أبو الفضل بن منظور ، لسان العرب ، ص 106.

[2]- حسام الألوسي الزمان في الفكر الديني والفلسفس القديم(د–ط)، المؤسسة العربية للنشر، بيروت،1980 ص91.

[3]- يوري لوتمان مشكلة المكان الفني ، ترجمة سيزار قاسي ، (د–ط). دار الطربقال المغرب 1988 ص 125.

كان لي بالأمس قلب فقضى و أراح الناس منه و استراح

ذلك عهد من حياتي قد مضى بين تشبيب و شكوى و نواح

إنما الحب كنجم في الفضا نوره يمضي بأنوار الصباح[1]

العلاقة المكانية الزمانية التي لا يمكن الفصل بين أطرافها تتجلى في المكان الذي يمثله الفضاء مكانا للنجوم ، و نور هذه النجوم ، التي تمحى بأنوار الصباح و هي علاقة بين الفضاء و النجوم.

ويقول في نفس القصيدة :

كم سهرت الليل و الشوق معي ساهر أرقبه كي لا أنام

و خيال الوجد مضجعي قائلا: «لا"تدن" فالنوم حرام»

و سقامي هامس في مسمعي من يرد الوصل لا يشكو السقام.

تلك أيام تقضت فالبشرى يا عيوني بلقا طيف الكرى

و احذري يا نفس ألا تذكري ذلك العهد فيه جرى[2]

فالعلاقة بين الزمان و المكان المشكلة في هذه الأبيات استوحاها من الحقيقة التي عايشها في فترة زمانية في السهر ليلا ، مرتبطة بمكان السهر ممثلا في مكان نومه و هو المضجع.

---

[1]–جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ص363.

[2]–المرجع نفسه ، ص 363.

الفصل الثاني:

المكان في الشعر المهجري

1- المكان عند أدباء المهجر:

ينجذب الإنسان نحو أمكنة مختلفة، ويتعلق بها لأسباب مختلفة، وإذا كان التعلق بالنسبة للإنسان العادي يبقى مجرد إحساس بالفرح إذا امتلك المكان المحبوب أو إحساس بجرح نازف إذا افتقد ذلك المكان أو استيقظ في ذاكرتي على حين غرة فانه بالنسبة لشعراء المهجر مقدس، ويعتبر العمود الفقري لنصوصهم خاصة تلك التي تتغنى بالوطن الأم باعتبارهم مغتربين عن أوطانهم يصفون وديانها ومروجها وجبالها وعتاقة مدنها وكرم أهلها في محاولة مريحة منهم لاستعادة ذكريات الماضي وتقوية الرابطة بأوطانهم وتنمية الروح الوطنية في ديار المهجر ومداعبة جمال الطبيعة فهم يعتبرون المكان الذي يعيشون فيه وأوطانهم الأصلية مصدر الحنان والطمأنينة والحياة الكريمة.

وشعراء المهجر لا يبصرون في أوطانهم سوى الجمال والحرية والطبيعة العذراء فهذا إيليا أبو ماظي في قصيدة "بلادي" يتغنى بجمال وطنه فيقول.

إني مررت على الرياض الحالية

وسمعت أنغام الطيور الشادية

فطربت لكن لم يحب فؤاديه

كطيور ارضي أو زهور بلادي

وشربت ماء النيل شيخ الأنهر

فإنني قد ذقت ماء الكوثر

نهر نبارك من قديم الأعصر

عذب ,ولكن لاكماء بلادي.[1]

الشاعر في هذه الأبيات يخبرنا بأنه مر على الرياض الحالية وسمع أنغام الطيور وشرب من ماء النيل الذي شبه مذاقه بمذاق ماء الكوثر، ولكن فؤاده لم يحب طيورا مثل طيور بلاده ولم ير زهورا مثل زهور بلاده .ولم يذق ماء أعذب من ماء بلاده، فلا مكان في العالم يماثل جمال بلاده .

[1] إليا أبو ماضي، الديوان نقحه جورج شكور، ط1، دار الفكر البناني، بيروت، 2004، ص512.

ونجده يعبر عن أزمته التي تتمثل في بعده عن وطنه في قصيدة "أمنية المهاجر" وهو يقول

محنت ليس لها مثل سوى محنة الزورق في طاعني العباب

ليس بي داء ولكنني امرؤ لست في أرضي ولا بين صحابي.[1]

الشاعر في هذين البيتين يعبر عن محنته التي ليس لها مثيل سوى محنة الزورق في طاغ العباب، ومحنته ليست مرضا أو داء ولكنها تتمثل في بعده عن وطنه وأصحابه فهذا البعد يحزنه ويؤلمه.

ويقول في قصيدة لبنان.

وطني ستبقى الأرض عندي كلها حتى أعود إليه أرض التيه.[2]

فلبنان عنده بمثابة الأرض كلها حتى يعود إليه، فإشتياقه وحنينه لوطنه جعله ينسب صفة الكمال أي الكل لوطنه لبنان فنظرته للأرض بمثابة نظرته للوطن "لبنان".

تغنى كذلك إليا أبو ماضي بأماكن غير الوطن لبنان، كتغنيه بالبحر إذ يقول في قصيدته البحر:

أيها البحر: أتدري كم مضت ألف عليكا

وهل الشاطئ يدري أنه جاث لديكا

وهل الأنهار تدري أنها منك إليك[3]

الشاعر في هذه الأبيات يقف مخاطبا البحر بمجموعة من الأسئلة ليبين لنا عظمته، وأنه المركز ورغم مرور آلاف السنين عليه إلا أن الشاطئ بقي جاث لديه, وأن الأنهار مصدرها من البحر ثم تعود وتصب فيه وكان الشاعر في هذه الأبيات الشعرية يشبه البحر بوطنه والشاطئ بدياره التي لا تفارق أراضي وطنه العظيم، أما عن الأنهار فهو يريد أن يتحدث عن نفسه فهو مهما بعد عن أرض وطنه وعن أهله ففي الأخير يعود إليه.

نجد كذلك رشيد أيوب يتغنى بالغدير في قصيدته أغاني الدرويش التي مطلعها:

---

[1]– إليا أبو ماضي، الديوان نقحه جورج شكور، ط1، دار الفكر البناني، بيروت، 2004، ص51.

[2]– المرجع نفسه، ص 479.

[3]– المرجع نفسه، ص 77.

يا غديرا جاريا بين الحقول

في سكون الليل ما هذا الخرير

قل برب الخلق هل أنت رسول

رنة الأفلاك في أوج الأثير.[1]

الشاعر في هذه الأبيات ينادي الغدير وهو يجري بين الحقول في سكون الليل سائلا إياه إن كان رسولا, فشعراء المهجر يهربون من ضجيج المدينة إلى الطبيعة من أجل الاستمتاع بأصوات العصافير, وخرير المياه. فالشاعر هنا في موقف مناجات للغدير والحقول التي بها السكون والطمئنينة والارتياح.

كما نـــجد زكي قنصل يعبر عن حنينه إلى وطنه فيقول:

حتام أخنق عــصاتي وأنتــظر طال الطريق وأوهى عزمي السفر

جارت على النوى واستفزت كبرى فكيف يضحك في قيتارتي وتر؟

يا شام لولا طلاب المجد ما انتثرت في الشرق والغرب هذه الأنجم الزهر[2]

الشاعر في هذه القصيدة يشكو آلام الغربة ومشتقاتها, ويعبر عن حنينه واشتياقه لوطنه، لذلك نجده قد عمد إلى تحميل أبياته ماله دلالة الألم لفراق وطنه ويظهر هذا في قوله:

حتام أخنق غصاتي، أوهى عزمي السفر، كيف يضحك في قيتارتي وتر.

يقول نسيب عريضة في قصيدته "أقيموا على قبري من الصخر دمية"

أقيموا على قبري من الصخر دمية بها رمز بعد موتي يعرض

يدان بلا جسم تمدان في الفضا تمدان من صخر على القبر يربض[1]

---

[1]– عماد علي سليم الخطيب، في الأدب الحديث ونقده, عرض وتوثيق وتطبيق، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان 2009، ص 60.

[2]– محمد عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص 179

جمع الشاعر في هذين البيتين بين" القبر والفضاء" أي بين مكان ضيق ومكان لا حدود له, وبذلك يكون القبر مكانا للجسد أما الفضاء فهو للأرواح.

ويقول أيضا:

ذكر الطائر الرياض فغنى وتناسى باللحن أسرارا وسجنا

نسمات الغصون هبت عليه فغدى في هبوبها يتشنى

الشاعر في هذين البيتين يتمنى أن يكون كالطائر الذي يمكنه أن يتناسى بلحنه الأسر والسجن, فيتذكر الطبيعة والنسمات التي تهب عليه.

كما تغنى ميخائيل نعيمة بالطبيعة وذلك في قصيدته "صدى الأجراس" التي يقول فيها:

أشجار الغاب تحيينا وطيور الغاب تناجينا

وزهور الغاب تصافحنا وتصافحنا وتهنينا[2]

تغني الشاعر بالغاب التي حيته أشجارها وطيورها التي ناجته وزهوزها التي صافحته وهنأته, حيث جعل الغاب كأنها مدينة أو قرية سكانها هم الأشجار والطيور والزهور. ويقول في قصيدة النهر:

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير؟

أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير؟

بالأمـــس كـــنـــت بين الحقول

تتلوى على الدنيا وما فيها أحاديث الزهور.[3]

---

[1]– المرجع نفسه، ص124

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث ، ط1 ، دار الوفاء لدنيا اللطبباعة والنشر ، الإسكندرية ،2002، ص124.

[3] المرجع نفسه ص 78 .

يتغنى ميخائيل في هذه الأبيات بالنهر فهو يناديه بعد ما نضبت و جفت مياهه وانقطع صوت خريره ومن جهة أخرى يسأله عن سبب جفاف مياه هل هو الكبر الذي أثناه عن المسير. بعد ما كان يسير بين الحقول ، ويتلوى ليجلب له أخبار الزهور و أحوال الحقول.

2- صور المكان عند جبران خليل جبران:

يعد جبران خليل جبران من أهم الشخصيات الأدبية في الأدب العربي خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين كان مزيجا من الحكيم و الثائر و الشاعر، و لكنه لم يكن فيلسوفا ولا مصلحا

عمليا ناشا كالريحاني كما أن أفضل أعماله لم تكن إضافة مباشرة إلى التراث الشعري العربي لكن خدمته للشعر لعربي كانت عظيمة، تفوق ما قدم الكثير من الشعراء و النقاد الذين كتبوا عن الشعر بشكل مفصل و مباشر.[1]

لقد كان لجبران خليل جبران في نشأته عوامل ساعدته للتأثير في إنتاجه ففي مقدمتها تلك الموهبة التي تدفع به إلى استطاع أسرار الحياة و إدراك ضمائرها ، كما ساعده أيضا اغترابه حيث اطلع جبران في تجربته الاغتراب على واقع الحضارة المتضخمة بالاختراعات.

مرت ثقافة جبران بمراحل متعددة ابتدأت في بلدته ثم نمت في المهجر، وفي عودته إلى لبنان ورحيله إلى فرنسا وقد اطلع من خلالها على الأدب الرومانسي والبوذية والمسيحية وفلسفة نيتشه وكتابات وليم بليك ومن إليهم، مما عمق تجربته النفسية الحياتية، وغذاها بتجارب الآخرين وثقافاتهم، ولعل نضوجه الثقافي والإنساني هو الذي حوله فيما بعد من السلبية والعنف إلى نوع من الهدوء والمسالمة مع الحياة والقدر.[2]

لم يكتف جبران بأن نفخ الروح الصحيح في الأدب العربي الحديث وإنما كان أول من شق للناس سبيل البساطة في التعبير عن فوالج النفس والحياة ومع البساطة والجمال في الأساليب

[1] سلمى الخضراء الحبوسي ، التجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث ، تر عبد الواحد لؤلؤة ، ط1 ، مركز ، دراسة الوحدة العربية ، بيروت ، 2001 ، ص130.

[2] سلمى الخضراء الحبوسي، الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص 130.

الكتابية وقد كانت مؤلفاته في حينها فتحا جديدا, لم يكن يعرف مثله في الأدب العربي الحديث الذي كان ينوء قبل جبران تحت ركام من الألفاظ المتحجرة والقواعد الثقيلة.[1]

لقد بدأ نجم جبران الأدبي في الظهور, من مهجره منذ اوائل القرن العشرين ثم قبل أن تشب الحرب الكونية الأولى, وفي أثنائها كان أدب جبران ملء الأسماع والقلوب في الشرق العربي فقد تفتحت عيون الناس وقلوبهم على ألوان جديدة زاهية من الأدب تطل عليهم من بين دفات الأجنحة المتكسرة وعرائس المروج ودمعة وابتسامة.[2]

فيها الروح الثائرة, والعاطفة الحارة والفكرة الموقدة, وفيها الخيال المحلق والتصوير الرائع والعبارة المشرقة.[3]

خدم جبران الشعر العربي بطرق ثلاث: أولها عن طريق نثره الشعري, وثانيتها عن طريق كتاباته المتنوعة عن الشعر واللغة والفن عموما.[4]

فالتقى فيه الفن الجميل والشعر الجميل, وإن كان مقلا في شعره الموزون المقفي[5]

وخلاصة القول: لقد كان جبران في عصر النهضة أول أديب عربي آمن بأن الأدب هو رسالة سامية تؤديها الألفاظ المكتوبة وان رسالته هي أن يفتح عيون الناس على الجمال والحق ويقودهم إلى ينابيع الحب والحرية وقد حمل رسالته هذه بإخلاص وصادر ينشرها بين قومه أولا, ثم بين سائر أبناء الحياة ثانيا, لأن رسالة الحياة لا تقتصر على الناس دون آخرين فإنما تتخطى كل حدود الزمان والمكان والدين والجنس واللغة والتقاليد والشرائع لتلقى كل النفوس بذور الخير والحق والسعادة الأكيدة.

---

[1] إليا الحاوي: في النقد والأدب، ج4، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص 277.

[2] عيسى الناعوري، أدب المهجر، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1977، ص 346.

[3] عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 345.

[4]– سلمى الخضر الجبوسي، الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص 134.

[2] –نسيب نشاوي، مدخل المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984 ،ص 181.

وهكذا استطاع جبران الشاعر الفنان, أن يكون النفحة الأولى في حياة الأدب العربي الحديث وأن يجعل للأدب العربي جذورا قوية باقية في حقل الآداب العالمية الخالدة ويصبح من بين حملة أقلام العرب أديبا عالميا خالدا يفاخر به الشرق والغرب على السواء.

من خلال تجربة حياة جبران الحزينة التي قادته إلى المهجر وحرقته على لبنان أبدع في توظيف المكان في قصائده وجعله متنوعا, فمن صور المكان في شعر جبران نجد:

أ- **الوطن:** تغنى في جبران بوطنه لبنان، فصوره في صورة مختلفة عن صورة لبنان في نظر غيره من اللبنانيين، إذ يقول في قصيدة لكم لبنانكم ولي لبناني:

لكم لبنانكم ولي لبناني
لكم لبنانكم ومعضلاته ولي لبناني وجماله
لكم لبنانكم بكل ما فيه من الأغراض والمنازع ولي لبناني بما فيها من الأحلام والأماني
لكم لبنانكم فاقتنعوا به ولي لبناني وأنا لا أقتنع بغير المجرد المطلق.
لبنانكم عقدت سياسة تحاول حلها الأيام, أما لبناني فتلول تتعالى بهيبة وجلال نحو ازرقاق السماء.

لبنانكم مشكلة دولية تتقاذفها الليالي أما لبناني فأودية هادئة سحرية تتموج في جبناتها رنات الأجراس وأغاني السواقي.[1]

فجبران في هذه القصيدة قارن بين لبنانين, لبنانه التي في خياله الجميلة الهادئة ذات الأودية الساحرة والسماء الزرقاء فهذه الصورة التي يتدنى أن تكون عليها لبنان اما لبنان التي نسبها إلى غيره فهي كلها مشاكل ومنازع وعقد سياسية.ويقول أيضا:

لبنانكم حيلة يستخدمها الثعلب عندما يلتقي الضبع ويجتمع بالذئب اما لبناني فتذكرات تعيد على مسمعي أهازيج الفتيات في الليالي المقمرة وأغاني الصبايا بين البيادر والمعاصر.[2]

[1] جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، ط1، دار صادر بيروت، 2002، ص 305.
[2] المرجع نفسه، ص 306.

فالشاعر هنا تطرق إذا لمنافقين الذين يدعون حب لبنان، وهم على عكس ويقارن بينه وبينهم وبين أحلامه وأحلامهم، وهي مفارقة كبيرة بين أبناء لبنان، فهناك من يسعى إلى الوصول إلى الحكم على حساب أحلام وأماني الآخرين وعلى حساب مستقبل لبنان وشعبها البسيط:

لبنانكم طوائف وأحزاب

أما لبناني فصبية يتسلقون ويركضون مع الجداول ويقتون الذكر في الساحات.

ويقول أيضا:

لكم لبنانكم ولي لبناني

لكم لبنانك فابتغوا به وبهم إن استطعتم الاقتناع بالفقاقيع الفارغة, أما أنا فمقتنع بلبناني وأبنائه, وفي اقتناعي عذوبة وسكينة وطمأنينة.[1]

فلبنان بالنسبة لجبران مصدر الحنان والطمأنينة والحياة الكريمة وهو مقتنع به.

ب- الأرض:

إن رابطة الشاعر بالأرض قوية شبيهة برابطة الطفل بأمه الحنون ، التي تعطف عليه ، و هذا ما نجده في قصيدة جبران التي سماها أيتها الأرض يقول فيها :

ما أجملك أيتها الأرض و ما أبهاك

و ما أتم امتثالك للنور وأنبل خضوعك للشمس

ما أظرفك متشحة بالظل وما أملح وجهك مقنعا بالدجى.

ما أعذب أغاني فجرك و ما أهول تهاليل مسائك

ما أكملك أيتها الأرض و ما أسناك[2]

ثم يقول :

[1] المرجع نفسه،ص 308

[2] جبران خليل جبران ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ، ص312.

ما أكرمك أيتها الأرض و ما أطول أناتك

ما أشد حنانك على أبنائك المنصرفين عن حقيقتهم إلى أوهامهم، الضائعين بين ما بلغوا إليه وما قصروا عنه.[1]

جبران في هذه القصيدة يصف جمال الأرض وبهائها ونبلها وعذوبة أغاني فجرها، فهو بوصفه هذا جعلها كاملة لا ينقصها شيء، فهي كريمة تحن على أبنائها كمت تحن الام على أطفالها حتى ولو قصروا في حقها.

كما تغنى جبران بالأرض التي لم تصلها الأقدام ما عدى اقدام الرعاة والفلاحين، إذ يقول في قصيدة الأرض:

تنبثق الأرض من الارض كرها وقصرا

ثم تسير الأرض فوق الأرض تيحا وكبرا

وتقيم الأرض من الأرض القصور والبروج والهياكل

وتنشئ الأرض في الأرض الأساطير والتعاليم والشرائع

ثم تمل الأرض آمال الأرض فتحرك من هالات الأرض الأشباح

والأوهام والأحلام

ثم يراود نعاس الأرض أجنان الأرض فتنام نوما هادئا عميقا أبديا

ثم تنادي الأرض قائلة للأرض : أنا الرحم و أنا القبر و سأبقى رحما

وقبرا حتى تضمحل الكواكب و تتحول الشمس إلى رماد[2]

فجبران صور الأرض هنا على انها المركز فمنها تقام القصور والبروج والهياكل وفيها تنشا الأساطير والتعاليم والشرائع وهي الرحم وهي القبر في آن معا.

ج- البحر والشاطئ:

[1] المرجع نفسه ، ص313.

[2] جبران خليل جبران ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ، ص310.

إن للبحر نظرة خاصة عند جبران فهو يمثل المركز واللانهاية والأم الكونية، و قد تغنى به في كثير من قصائده، إذ يقول في قصيدة البحر:

في سكون اللـــيل لـــما تنثنـــي يقظة الإنسان من خلف الحجاب

يصرخ الغاب : أنا العزم الذي أنبتته الشمس من قلب التراب

غير أن البحر يبقى ساكتا

قائلا في نفسه : العزم لي

و يقول الصخر: إن الدهر قد شادني رمزا إلى يوم الحساب

غير أن البحر يبقى صامتا

قائلا في نفسه: الرمز لي

و تقول الريح ما أغربني فاصلا بين سديم وسما

غير أن البحر يبقى ساكتا

قائلا في نفسه: الريح لي

و يقول النهر ما أعذبني مشربا يروي من الأرض الضما

غير أن البحر يبقى صامتا

قائلا في نفسه: النهر لي [1]

البحر في نظر جبران يمثل مركز الكون ، فهو عظيم و عظمته هذه تتمثل في سكونه و هيجانه الذي يستحوذ على الجداول، و الأنهار التي تصب فيه، و الرياح التي تكون أمواجه الصخور التي تكسرها ، فالبحر هو الذي يمتلك العزم و الرمز والريح و الأنهار و بهذا هو مصدر كل شيء و نهاية كل شيء ، فمنه الانطلاق و إليه النهاية.

و يقول جبران كذلك في قصيدته "رمل و زبد":

[1] جبران خليل جبران ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ، ص358-359.

على هذه الشطآن أسعى إلى الأبد

بين الرمل مسعاي و بين الزبد

سوف يطغى المد على آثار قدمي فيمحو ما وجد

و تطوح الريح بعيدا بعيدا بالزبد

أما البحر وأما الشاطئ، فباقيان إلى الأبد [1]

يعبر جبران هنا عن عجزه في إدراك الحقيقة ، حقيقة نفسه وحقيقة الوجود، ما عدا حقيقة واحدة وهي أن البحر والشاطئ باقيان إلى الأبد.

ويقول في تعريفه للبحر :"البحر هو اللانهاية، الأم الكونية والذات الكبرى والبحر الأعظم يحتضن كل الجداول " [2] فهو يعتبر البحر بمثابة عالم آخر، تحكمه قوانين خاصة به كما أقر بصعوبة الولوج في أسراره التي يخفيها بداية بزرقته، وشساعته ، وعمقه وعظمته.

د- الغاب:

تغنى جبران خليل جبران بالغاب و ذلك من خلال قصيدته المواكب التي يتوجه فيها إلى الطبيعة البكر ، حيث يرى فيها العالم المثالي و السعادة المطلقة و كلمة مواكب تعني معتقدات الناس و مقاييسهم الخاطئة ، و التي يقول فيها :

هل اتخذت الغاب مثلي منزلا دون القصور

فتتبعت السواقي و تسلقت الصخور ؟ه

هل تحممت بعطر و تنشقت بنور

وشربت الفجر خمرا في كؤوس من أثير ؟ [3]

---

[1] ثروت عكاشة ، (تعريب) : روائع جبران خليل جبران ، ط2 ، مطابع الهيئة المصرية العامةللكتاب ، مصر د-سنة) ،ص115.

[2] جبران خليل جبران ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ، ص135.

[3] جبران خليل جبران : المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية, ص 211.

استخدم الشاعر الغاب هنا رمزا إلى جوهرة الحياة الواحدة الشاملة التي لا تتجزا و لا تتفرق كما يرمز إلى السعادة الكبرى و الجمال الأعظم و الإيمان المطلق و وحدانية الحياة.

و يقول ايضا :

ليس في الغابات موت لا و لا فيها القبور

فإذا نيسان دلى لم يمت معه السرور

إن هول الموت وهم ينثني على الصدور

فالذي عاش ربيعا كالذي عاش الدهور[1]

المكان هنا محدد يشير إلى الطبيعة البكر أي الغاب العذراء ، و هو المكان المثل الذي يحمل النقاء و الصفاء ، و هو رمز لوطنه لبنان ، باعتباره مكان طفولته .

و يقول أيضا :

ليس في الغاب ظريف ظرفه ضعف الضئيل

فالضبأ وهي عليل ما بها سقم العليل

إن بالانهار طعما مثل طعم السلسبيل

و بها هول و عزم يجرف الصلد الثقيل[2]

ألغاب ليس بها عليل ولا ضعيف وإنما بها أنهار طعمها مثل طعم نهر الجنة نهر السلسبيل، فالغاب مثالي في أبسط الأشياء حتى طعم المياه.

إمتاز المكان في الشعر المهجري بالتعدد و التنوع من التغني بالوطن الغاب،الحقول الأرض ماكان هذا الأمجرد حنين للوطن الغالي و تعبيرا عن المعاناة في المهجر ، فمن خلال

توظيف جبران خليل جبران لأنواع المكان تتضح لنا مكانة و منزلة المكان عند أدباء المهجر ككل.

---

[1] المرجع نفسه ، ص211.

[2] جبران خليل جبران : المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ، ص209.

خاتمة

توصلنا من خلال معالجتنا لموضوع المكان عند أدباء المهجر إلى جملة من النتائج :

-المكان و الذكريات و المكان القديم و مكان العاطفة و الحب أو مكان الثأر و النضال و التضحية.

-المكان غير مستقل عن الإنسان ، فقد ارتبط دوما بالفعل البشري و بالعواطف الإنسانية ، إنه أكثر من منظر طبيعي ، هو حالة نفسية استعادوا عن طريقها التاريخ الشخصي و المتجذر في اللواعي المرتبط بهذا المكان او ذاك.

-لا يعني التعامل مع المكان هو فقط عاطفة رومنسية للتعويض عن الفقدان و التلذذ بحلم الإمتلاك ، إنه يتضمن أبعاد و مواقف تنبع من طبيعة الأمكنة الموظفة.

-يتجلى المكان الخارجي في النص الشعري عبر أسماء الأوطان أو المدن و القرى المختلفة كما يتجلى عبر تحديد الأحياز الجغرافية كالشارع ، المنزل ، الفندق ، كما يتجلى عبر الإيحاءات التي تتمتع بها بعض الرموز و الأسماء .

-التعامل مع المكان لا ينحصر في استعراض محتوياته و صور بل ينبغي أن يعاش كتجربة و لن تتم الكتابة عن مكان ما بنجاح مما لم نعان من هذا المكان بغض النظر عن كيفية المعاناة.

-تسرب المكان إلى أشعار الشعراء لم يكن مجرد حنين بسيط بقدر ما كان معاناة و تعبيرا عن موقف .

-امتاز المكان في المتن الشعري بالتعدد و التنوع ، إذ لم يكن محصورا في الوجود الطوبوغرفي الماثل بتضاريسه البيئية .

-حضور المكان في التجربة الإبداعية يفقده بعضا من خصوصية الواقعية ، و يزوده بجملة من الخصائص المجازية التي ترتكز أساسا على ذاتية الأديب.

-المكان هو انفتاح للذاكرة على أزمنة أخرى ، انفتاح النفس على مشاعر متنوعة ، و انفعالات متشابكة ، و هو ليس مفهوما مفرغا ، فهو مشحون و مبطن بالزمان و متعلقاته بالثقافة و العادات و التقاليد.

-تغنى شعراء المهجر كافة بأوطانهم في مختلف روائعهم الشعرية ، و ذلك يعود إلى حنينهم الدائم اتجاه الأقطار العربية .

-لا يمكن بأي حال من الأحوال فصل الزمن عن المكان و لا يمكن دراسة المكان بمعزل عن زمانه.

-أبدع جبران خليل جبران في توظيف المكان نظرا لتجربة حياته الحزينة التي قادته إلى المهجر و كذا حرقته على لبنان.

-يعوض شعراء المهجر افتقادهم للمكان باللجوء إلى الطبيعة حاضنة الأحلام و حامية الأسرار.

قائمة المصادر و المراجع :

1. الأخطل ،الديوان تحقيق راجي الأسمر بدون طبعة – دار الكتاب العربي بيروت 2004
2. ابن خفاجة ،الديوان ،تحقيق سيد غازي ،ط2،نشأة المعارف ،الاسكندرية ،1979
3. أبو الفضل ابن منظور ،لسان العرب مج 14 ،ط4،دار صادر ،بيروت ،2005
4. إليا أبومضي ،الديوان ،نقحه جورج شكور ،ط1 ،دار الفكر اللبناني بيروت ،2004
5. إليا الحاوي ، في النقد والأدب ج4 ، ط1 ،دار الكتب اللبناني ،1980
6. امروء القيس ،الديوان تحقيق مصطفى عبد الشافي (د–ط) دار بيروت للنشر لبنان 1986
7. بايس فوغالي ،الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ،ط1،دار الكتاب العالمي، إرب الأردن عالم الكتب الحديث ، عمان الأردن ، 2008
8. البحتري ،الديوان ،تحقيق سيد غازي ، ط2،نشأة المعارف ، الاسكندرية ،1979
9. التبريزي ، شرح المعلقات العشر ، ط1 ، الفصلية السعودية ، 2005
10. ثروت عكاشة ، روائع جيران خليل جيران ،ط2،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب (د–س)
11. جيران خليل جيران ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية ، مراجعة وترتيب ؛ ميخا ئيل نعيمة ،ط 1،دار صادر،بيروت.

، البدائع والطرائف ، (د–ط) ، دار الجيل للنشر و الطباعة ببيروت ، 2004

12. حسام الألوسي ،الزمان في الفكر الديني و الفلسفي القديم (د–ط) ،المؤسسة العربية للنشر ،بيروت 1980.
13. حنان محمد موسى حمودة ،الزمكانية و بنية الشعر المعاصر – عبد أحمد المعطي حجازي أنموذجا–،ط1، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع – الأردن،2006
14. ذو الرمة الديوان أحمد حسن سبح ط1 دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1995
15. زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، تحقيق علي فاعور ، (د–ط) ، دار بيروت ، لبنان (د–س)
16. سلمى الخضراء الجبوسي ،الأتجهات و الحركات في الشعر العربي الحديث ترجمة ؛ عبد الواحد لؤلؤة ،ط1،مركز دراسة الوحدة العربية ،بيروت ،2001
17. الطرماح ،الديوان ،تحقيق غزة حسين ،(د–ط)، فرارة الثقافة والإرشاد القومي ،دمشق ،1968

18. عبد الله الغدامي الخطيئة و التفكير البنيوية التشريعية ،ط3،دار سعاد صباحن الكويت 1993
19. عبد الملك مرتاض ،تحليل الخطاب السردي ،معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق" ،(د–ق)،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1995
20. عزالدين المناصرة ،جمرة النص الشعري (مقاربات في الشعر والشعراء والحداثة والفاعلية)،ط1،دار مجدلاوي ،عمان،2009
21. عماد علي سليم الخطيب ،في الأدب الحديث و نقده عرض تطبيق وتوثيق ،ط1،دار المسيرة
للنشر والتوزيع و الطباعة ،عمان ،2009
22. عنترة بن شداد ،الديوان ،ط1،دار صادر ،بيروت ،1968
23. عيسى الناعوري ،أدب المهجر ،ط3،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،1977.
24. فتيحة كحلوش ،بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري ،ط1، الأنتشار العربي ،بيروت 2008
25. محمد أحمد دقالي ،الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)،ط1،دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر ،الاسكندرية ،2008
26. محمد عبد المنعم خفاجي ،حركات التجديد في الشعر الحديث ،ط1،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الاسكندرية ،2002
27. محمد عويد محمد ساير الطربولي ،المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي 484 ه .897 م ،مكتبة الثقافة الدينية بورسعد– القاهرة ،2005
28. محمد الهادي الطرابلسي ، بحوث في النص الأدبي (د–ط)، الدار العربية للكتاب ، تونس 1968
29. نسيب نشاوي ،مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر المعاصر ،(د–ط) ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1984.
30. يوري لوتمان ،مشكلة المكان الفني ،ترجمة سيزارقاسي ،(د–ط) ،دار طوبقال ،دار البيضاء المغرب ،1988

الفهرس

الفهرس:

مقدمة..... 3-2

مدخل..... 8-5

الفصل الأول:مفهوم المكان و أنواعه 24-10

1- مفهوم المكان ..... 16-10.

2-أنواع المكان 24-16

الفصل الثاني: المكان في الشعر المهجر..... 37-26

1- المكان عند ادباء المهجر..... 29-26

2- صور المكان عند جبران خليل جبران..... 37-29

خاتمة..... 39

قائمة المصادر و المراجع..... 41-40